ترجمات | قسم الدراسات الدينية | 01 أبريل 2017

ما قام به المترجمون العرب
أكثر من مجرّد الحفاظ على الفلسفة اليونانية

نايغل واربوتون
ترجمة: فطيمة الرضواني

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

ما قام به المترجمون العرب
أكثر من مجرّد الحفاظ على الفلسفة اليونانية

نشر بالاشتراك مع أكسفورد يونفورستي براس، شريك أثون

تحرير: **نايغل واربوتون**

ترجمة: **فطيمة الرضواني**

أستاذة الأدب الإنجليزي والترجمة المختصة،

جامعة تونس المنار، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس

مراجعة: **منير السعيداني**

أستاذ علم الاجتماع،

جامعة تونس المنار، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس

بيتر أدامسون

أستاذ الفلسفة بجامعة لودفيغ ماكسيميليان، مونيخ. له عديد المؤلفات منها
أفلوطين العربي (2002)،
عظماء المفكّرين في العصر الوسيط: الكندي (2007)
ومؤلّف **الفلسفة في العالم الإسلامي** (2016).
يذيع أدامسون رقميا وعلى الإنترنت تدوينا صوتيا لملفات تاريخ الفلسفة.

سقراط مع طلبته، الرّسوم الإيضاحية من كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم للمبشّر، المدرسة التركية (القرن الثالث عشر) صورة بريدجمان

في العصور الأوروبية القديمة، كانت معظم أعمال الفلاسفة مكتوبة باللغة اليونانية، وظلّت الفلسفة مرتبطة أشدّ الارتباط بالثقافة الإغريقية حتى بعد احتلال الرومان للبحر الأبيض المتوسّط وزوال الوثنية. وكان المفكرون الرّواد في العالم الروماني، أمثال سيسيرون وسينيكا، راسخي المعرفة بالأدب اليوناني؛ حتى أن سيسيرون سافر إلى أثينا ليقدم آيات الإجلال لوطن أبطاله الفلاسفة، بل إن الإمبراطور ماركوس أوريليوس ألف كتابه المعنون ب: تأملات باللسان الإغريقي. وقد حاول سيسيرون، وبوثيوس فيما بعد، إرساء تراث فلسفي باللاتينية، ولكن، وخلال العصور الوسطى المبكرة، لم يكن أغلب الفكر اليوناني متاحا باللاتينية إلا جزئيا وبطريق غير مباشر.

هل تعدّ ترجمة الفلسفة نشاطا فلسفيا؟

76 إجابة

كانت الأمور أفضل حالا في أماكن أخرى؛ ففي الجزء الشّرقي من الإمبراطورية الرّومانية كان البيزنطيون المتحدثون باللسان اليوناني قادرين على الاستمرار في قراءة أعمال أفلاطون وأرسطو في نصوصها الأصلية. كما تمتّع الفلاسفة في العالم الإسلامي بقدر فائق من النفاذ إلى التّراث الفكري اليوناني. وفي بغداد القرن العاشر، كان قرّاء العربية يتمتّعون بدرجة من النفاذ إلى مؤلفات أرسطو مماثلة لتلك التي يتمتع بها قرّاء الإنجليزية اليوم.

يعود الفضل في ذلك إلى حركة التّرجمة سخية التمويل التي تجلّت مظاهرها على امتداد الخلافة العباسية، بداية من النصف الثاني من القرن الثامن. مدعومة من أعلى المستويات، وصولا إلى الخليفة ذاته وأسرته، سعت هذه الحركة إلى جلب الفلسفة والعلم اليونانيين إلى الثقافة الإسلامية، وقد كانت الإمبراطورية العباسية تتوفر على الموارد اللازمة لذلك، لا ماليا فحسب، بل وثقافيا أيضا. فبدءًا من أواخر العصر القديم وحتى صعود الإسلام، ظل اللسان اليوناني قائما بوصفه لسان النشاط الفكري في ما بين المسيحيين، وخاصة في سوريا. وعليه، عندما قرر الأرستقراطيون المسلمون ترجمة الفلسفة والعلم اليونانيين إلى العربية لجأوا إلى المسيحيين. وأحيانا، كان اللجوء إلى ترجمة الأثر اليوناني إلى السيريانية أولا ومن ثمّ إلى العربية. وقد كان ذلك تحدّيا هائلا، إذ ليست اليونانية لسانا ساميا، حيث كان المترجمون ينتقلون من عائلة لغوية إلى أخرى، وهو ما كان أقرب إلى ترجمة الفنلندية إلى الإنجليزية منه إلى ترجمة اللاتينية إلى الإنجليزية. ولم تكن ثمّة، حين البدء، مصطلحية مؤسسة للتعبير عن الأفكار الفلسفية بالعربية.

ما الذي دفع بالطبقة السياسية للمجتمع العباسي، لدعم هذا المشروع الضخم وعسير الإنجاز؟ يعود جزء من التفسير ولا شك إلى الاستفادة من مدونة النّصوص العلميّة؛ فلقد كان للنصوص الأساس في تخصصات مثل الهندسة والطب تطبيق عملي جلي. ولكن هذا لا يفسر لنا السبب الذي بموجبه كان يجزى في أجر مترجمي "ما بعد الطبيعة" لأرسطو مثلا أو "تاسوعات" أفلوطين إلى العربية. تشير بحوث العلماء الرواد في حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية، وعلى الأخص بحوث دميتري غوتاس في "الفكر اليوناني والثقافة العربية (1998)"، إلى أن الدوافع كانت في الواقع سياسيةً في العمق، إذ إن الخلفاء كانوا يرغبون في فرض هيمنتهم هُمْ الثقافية في سياق التنافس مع الثقافة الفارسية، وكذا مع ثقافة الجيران البيزنطيين كذلك. لقد حرص العباسيون على إبراز قدرتهم على المضيّ بالثقافة الإغريقية بأفضل مما يفعل البيزنطيون الناطقون باليونانية، وقد أصابهم الجهل جراء لا عقلانيات اللاهوت المسيحي.

كما رأى المثقفون المسلمون في النصوص اليونانية مصادر للدفاع عن دينهم ولفهمه بطريقة أفضل. وقد كان الكندي من أوائل المفكرين المتبنين لهذه الإمكانية، وهو الذي عرف بكونه أول من كتب من الفلاسفة بالعربية (توفي حوالي سنة 870 ب. م.). مسلما ميسور الحال ومتنقلا بين بلاطات الحكم، أشرف الكندي على الباحثين المسيحيين القادرين على نقل اليونانية إلى العربية، وقد كانت النتائج متباينة. فلم تكن الصيغة التي أنجزها أولئك المترجمون لمؤلف "ما بعد الطبيعة" لأرسطو قابلة للفهم أحيانا (وللأمانة، يمكن القول إن هذا ينطبق على "ما بعد الطبيعة" في صيغته اليونانية أيضا)، في حين اتخذت "ترجمتهم" لكتابات أفلوطين غالبا شكل إعادة صياغة حرة مطعمة بمواد جديدة.

إن هذا لمثال جدّ مثير لشيء تميزت به الترجمات من اليونانية إلى العربية على نطاق أعمّ- وربما صح ذلك على جلّ الترجمات الفلسفية. يدرك أولئك الذين ترجموا، هم ذواتهم، الفلسفة من لغة أجنبية أن التمكن من ذلك، يستوجب فهما عميقا للنّصوص التي يقرؤون. وعلى امتداد السبيل إلى ذلك، على المرء أن يأخذ بخيارات صعبة تهمّ كيفية نقل النص من اللسان المصدر إلى اللسان الهدف، حيث يكون القارئ (والذي قد لا يعرف الصيغة الأصلية أو لا يمكنه النفاذ إليها) تحت رحمة قرارات المترجم.

وإليكم مثالي المفضل؛ يستخدم أرسطو كلمة (eidos) مشيرا بها، وفي آن معا، إلى "الصورة"، كما في القول إن "الجواهر مصنوعة من صورة ومادة" وإلى "الأنواع" كما في القول إن "الإنسان نوع حيواني". ولكن في العربية كما في الإنجليزية، هناك مفردتان مختلفتان (صورة ونوع). ونتيجة لذلك، كان على المترجمين العرب، وكلّما تعرضوا إلى كلمة (eidos)، أن يقرروا أية واحدة من المفردتين جالت بخلد أرسطو، وكان الأمر واضحا أحيانا، ومتعذر الإدراك أحيانا أخرى. على أن "الأفلاطونية العربية" تذهب إلى ما يتجاوز مثل هذه القرارات المصطلحية الضرورية. هي تحدث تغييرات دراماتيكية في النص، مما يخرج عن التناسب مع ما يعلمه أفلوطين من لاهوت توحيدي، معيدة صياغة الفكرة الأفلاطونية المحدثة حول المبدأ الأول البسيط المطلق على أنه الخالق في المعتقدات الإيمانية الإبراهيمية.

ما كان دور الكندي نفسه في كلّ هذا؟ في الحقيقة، لسنا متأكدين تمام التأكد؛ يبدو واضحا أن الكندي لم يقم هو شخصيا بأية ترجمة، ولعله لم يكن ذا معرفة جيدة باليونانية. ولكن من الموثوق به أنه "صحّح" كتاب أفلوطين في نسخته العربية، وهو ما يمكن أن يكون امتد إلى إضافة أفكاره هو الخاصّة إلى النص. ومن الجلي أن الكندي ومعاونيه اعتقدوا بأن الترجمة "الحقّة" هي تلك التي تعبر عن الحقيقة، وليست مجرد تلك التي تكون أمينة للنص في اللسان الأصل.

ولكن الكندي لم يكن قانعا بهذا، فقد كتب سلسلة من الأعمال المستقلة في صيغة مكاتيب أو رسائل لرعاة نعمته، بمن في ذلك الخليفة نفسه. وقد شرحت تلك الرسائل أهمية الأفكار اليونانية وقوتها، وكيف يمكن لها أن تتجاوب مع اهتمامات إسلام القرن التاسع. فعليا، كان الكندي يقوم بدور رجل الدعاية للفكر الإغريقي، وهو ما لا يعني البتة أنه اتبع بخنوع أسلافه الذين كتبوا باليونانية. على العكس من ذلك، بلغ جهد الكندي حد فسح المجال لتبني الأفكار الإغريقية وتكييفيها. فعندما عمل على المماثلة بين المبدأ الأول عند أرسطو وأفلوطين وإله القرآن، كانت طريقه إلى ذلك قد مُهِّدت له من قبلُ عبر الترجمات السابقة التي كانت قد عالجت هذا المبدأ على أنّه الخالق، وكان الكندي عالما بما قد نكون نحن عرضة لنسيانه اليوم: أن ترجمة الأعمال الفلسفية يمكن أن تكون طريقة فعالة للتفلسف.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

All rights reserved © 2017